المحاضرة العاشرة	شعر المعارضات بين المشرق والمغرب	ابن عبد ربه/ابن شهيد/ابن زيدون

مراجع المحاضرة:

1. الأدب الأندلسي الدكتور منجد مصطفى بهجت / مطبعة جامعة الموصل /1988

2.اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري الدكتور نافع محمود / دار الشؤون الثقافية / ط1 /1990

3. اثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة (92 ـ 422 هـ) الدكتور محمد شهاب العاني / دار الشؤون الثقافية / ط1 /2002

4. تأريخ النقائض في الشعر القديم الدكتور أحمد الشايب / دار الكتب العلمية / ط2 /1999

مفهوم المعارضة:

تحيلنا الدلالة اللغوية للمعارضة إلى المقابلة فيُقال فلانٌ يُعارضني أي : يباريني ،وعارضته في السير إذا سرتُ حِياله وحاذيته ، وعارَضَ الشيءَ بالشيءَ مُعارضةً قابَلَه وعارَضْتُ كتابي بكتابه أَي قابلته وعارضته مثل ما صنع أي : أتيت إليه بمثل ما أتى وفعلتُ مثلَ ما فعل . [1] ومن حيث الاصطلاح هي أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما . من أيّ بحرٍ وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفنّي وصياغتها الممتازة فيقول قصيدة في بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها مع انحراف يسير أو كثير حريصاً على أن يتعلَّق بالأول ودرجته الفنّية ويفوقه ، فيأتي بمعانٍ أو صور بإزاء الأولى ، تبلغها في الجمال الفنّي أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل و جمال التمثيل أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة) [2]ونلمح الصلة بين المعنيين اللغوي و الاصطلاحي حين علمنا أنَّ المعارضة في اللغة هي المقابلة كما تقدَّم ذلك [3] ويبدو من خلال هذا التعريف:أن لا علاقة بين اتفاق الشاعرين في العصر أو اختلافهما فيه .

(1)لسان العرب مادة (عرض)

(2)تأريخ النقائض في الشعر العربي القديم ص 7

(3)الأدب الأندلسي / للدكتور منجد مصطفى بهجت ص 266

إنَّ الشاعر صاحب الموهبة يستطيع أن ينظم قصائد ليس فيها معارضات ويتجه للمعارضات لإثبات الذات ، ومن ثم فالمعارضة الشعرية ظاهرة إبداعية خارجة عن التقليد لأنَّ الشاعر قد يصوغ الفكرة صياغة جديدة وهذا ليس تقليداً.

أنماط المعارضات:

تتنوع المعارضات في أغراض الشعر فنجد معارضات في المديح و الغزل و الاعتذار والهجاء والرثاء وفي الوصف وغيرها (وإذا كانت المعارضة تلتزم الوزن والقافية فإن موضوعها لا يتحدد بل يتعدد فالمعارِض الكفء هو الذي يتابع الشاعر المعارَض في قصيدته في كل غرض وموضوع كما يتابع الفارسُ الفارسَ في نزاله في كل خطوة لا يتجاوزه ولا يبعد عنه حتى ينتصرعليه) [1]ومن أمثلة للمعارضات معارضة الأندلسيين للشعر الجاهلي : قال أمرؤ القيس :

وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أَرخى سُدولَهُ عَلَيَّ بِأَنواعِ الهُمومِ لِيَبتَلي

فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَطّى بِصُلبِهِ وَأَردَفَ أَعجازاً وَناءَ بِكَلكَلِ

فانَّ الشاعر الأندلسي أبا المخشي عاصم بن زيد ينظر إلى صورة أمريء القيس من بعيد ويؤلف صورة أكثر إبداعا ويعبر عنها معارضاً بقوله :

وهم ضافني في جوفِ ليلٍ كِلا مَوجِيهِما عِندي كبيرُ

فبتنا والقلوب معلَّقاتٌ وأجنحةُ الرياح بن تطيرُ

فالليل عند الشاعر الأندلسي بحر كبير ذو موج متلاطم في جوفه هم ثقيل وهو أيضاً طويل البحر الكبير المتلاطم الأمواج .وبين هذين الموجين تبقى القلوب معلَّقة من الخوف .) [2]

ونركز على بيان نمطين:

أولا: معارضة المشارقة للأندلسيين (نونية ابن زيدون عارضها كثير من المشارقة منهم احمد شوقي:

يقول ابن زيدون:

أضْحَى التّنائي بَديلاً مِنْ تَدانِينَا وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا

مَنْ مبلغُ الملبسِينا، بانتزاحِهمُ حُزْناً، معَ الدهرِ لا يبلى ويُبْلينَا

(1)الأدب الأندلسي / للدكتور منجد مصطفى بهجت ص 274

(2)اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري / الدكتور نافع محمود ص 116

أنّ الزمان الذي ما زال يضحكنا أنساً بقربهم قد عاد يبكينا

غِيظَ العِدا مِنْ تَساقِينا الهوَى فدعَوْا بِأنْ نَغَصَّ، فَقالَ الدّهرُ آمينَا
بِنْتُم وَبِنّا، فَما ابتَلّتْ جَوَانِحُنَا شَوْقاً إلَيكُمْ، وَلا جَفّتْ مآقِينَا
نَكادُ، حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمائرُنا يَقضي علَينا الأسَى لَوْلا تأسّينَا
إذْ جانِبُ العَيشِ طَلْقٌ من تألُّفِنا وَمَرْبَعُ اللّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا
وَاللهِ مَا طَلَبَتْ أهْواؤنَا بَدَلا مِنْكُمْ، وَلا انصرَفتْ عنكمْ أمانينَا
يَا سارِيَ البَرْقِ غادِ القصرَ وَاسقِ به مَن كانَ صِرْف الهَوى وَالوُدَّ يَسقينَا
وَيَا نسيمَ الصَّبَا بلّغْ تحيّتَنَا مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيّا كان يحيِينا
يا رَوْضَةً طالَما أجْنَتْ لَوَاحِظَنَا وَرْداً، جَلاهُ الصِّبا غضّاً، وَنَسْرِينَا
يا جنّةَ الخلدِ أُبدِلنا، بسدرَتِها والكوثرِ العذبِ، زقّوماً وغسلينَا
سِرّانِ في خاطِرِ الظّلماءِ يَكتُمُنا حتى يكادَ لسانُ الصّبحِ يفشينَا
إنّا قرَأنا الأسَى ، يوْمَ النّوى ، سُوراً مَكتوبَةً ، وَأخَذْنَا الصّبرَ تلقينا
عَلَيكِ مِنّا سَلامُ اللَّهِ ما بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكِ نُخْفِيهَا، فَتَخْفِينَا

ويقول شوقي في أندلسيته :

يَا نَائِحَ الطَّلْحِ أَشْبَاهٌ عَوَادِينَا نَأْسَى لِوَادِيكَ أَمْ نَشْجُو لِوَادِينَا
مَاذَا تَقُصُّ عَلينَا غَيْرَ أَنَّ يَدَاً قَصَّتْ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَاشِينَا
فَإِنْ يكُ الجِنْسُ يَا ابنَ الطَّلْحِ فَرَّقَنَا إنَّ المَصَائِبَ يَجْمَعْنَ المُصَابِينَا
أُسَاةُ جِسْمَكَ شَتَّى حِينَ تَطْلُبُهُم فَمَنْ لِرُوحِكَ بالنُّطْسِ المُدَاوِينَا
لَمَّا نَبَا الخُلْدُ نَابَتْ عَنْهُ نُسْخَتُهُ تَمَاثُل الوَرْدِ (خَيرِيًّا) وَ(نَسْرِينَا)
لَكِنَّ مِصْرَ وَإِنْ أَغْضَتْ عَلَى مِقَةٍ عَيْنٌ مِنْ الخُلْدِ بالكَافُورِ تَسْقِينَا
كَأُمِّ مُوسَى عَلَى اسمِ اللهِ تَكْفُلُنَا وبِاسْمِهِ ذَهَبَتْ في اليَمِّ تَرْمِينَا
بِنَّا فَلَمْ نَخْلُ مِنْ رَوْحٍ يُرَاوِحُنَا مِن بِرِّ مِصْرَ وَرَيحَانٍ يُنَادِينَا
جِئْنَا إِلَى الصَّبْرِ نَدْعُوهُ كَعَادَتِنَا فِي النَّائِبَاتِ فَلَمْ يَأْخُذْ بِأَيْدِينَا
وَلَمْ نَدَعْ للَّيالي صَافياً فَدَعَتْ بِأَنْ نَغُصَّ فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا
يَا مَنْ نَغَارُ عَليهِم مِنْ ضَمَائِرِنَا وَمِنْ مَصُونِ هَوَاهُم فِي تَنَاجِينَا
اللَّيْلُ يَشْهَدُ لَمْ نَهْتِكْ دَيَاجِيهِ عَلَى نِيَامٍ وَلَمْ نَهْتِفْ بِسَالِينَا

وَمِصرُ كَالكَرمِ ذِي الإِحْسَانِ فَاكِهَةٌ لِحَاضِرِينَا وَأَكْوَابٌ لِبَادِينَا

يَا سَارِيَ البَرْقِ يَرْمِي عَنْ جَوَانِحِنَا بَعْدَ الهُدُوء وَيَهْمِي عَنْ مَآقِينَا

بِالله إنْ جُبْتَ ظَلمَاءِ العَبَابِ عَلَى ثَجَائِبِ النُّورِ مَحْدُوراً (بِجِرينَا)

ثانيا: معارضة الأندلسيين للمشارقه : قال مسلم بن الوليد (صريع الغواني) متغزلاً واصفاً الخمر :

أَديرا عَليَّ الراحَ لا تشربا قبلي وَلا تَطلُبا مِن عِندِ قاتِلَتي ذَحلي

فَما حَزَني أَنّي أَموتُ صَبابَةً وَلَكِن عَلى مَن لا يَحِلُّ لَهُ قَتلي

فجاء ابن عبد ربه وقد أكثر معارضته كبار شعراء المشرق ولْنستمع إلى معارضته لمسلم بن الوليد ثُمَّ تعليقه هو على تلك المعارضة ليتضح انَّه كان يحاول أن يسبق شعراء المشرق) [1]فعارضه ابن عبد ربه بقوله :

أَ تَقتُلني ظُلماً وتجحَدُني قَتلي وقد قامَ مِن عينيكَ لي شاهِدا عَدْلِ

أَطُلَّابَ ذَحلي ليسَ بي غَيرُ شادنٍ بعينيهِ سِحرٌ فاطْلبوا عنده ذحلي

القصيدتان من الطويل وكلتاهما في الغزل ويبدو أنَّ طريقة ابن عبد ربه التزام المعاني الاصيلة ومحاولة عكسها فإذا قال مسلم بن الوليد (وَلا تَطلُبا مِن عِندِ قاتِلَتي ذَحلي) عارضه الأندلسي بقوله :

أَطُلَّابَ ذَحلي ليسَ بي غَيرُ شادنٍ بعينيهِ سِحرٌ فاطْلبوا عنده ذحلي

فيبدو أنَّ الشاعر الأندلسي أراد من معارضته لشعراء المشرق التفوق عليهم ومِن ثَمَّ إثبات الذات الأندلسية وتأكيد قدراته وقد أُعجِبَ ابن عبد ربه في عقده بقصيدته هذه فقال : (من نظر في سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه، لمْ يَفْضُله شعرُ صريع الغواني عنده إلا بفضل التقدم) [2] (ولاشكَّ في أنَّ الشاعر المجيد هو الذي يرتفع بهذا التراث ويوسع مداه ويفتح آفاقاً جديدة توجه الأجيال الوجهة الصحيحة) [3]

(1)اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري / الدكتور نافع محمود ص 117

(2)نفسه 118

(3)نفسه 118